كتب

في «وجوهُ غضبنا»، تحلّل الباحثة الفرنسية مدوّنات فلسفية وأدبية وسينمائية من أجل إظهار بداهة نسبيتها أو تناستْها الخطابات الأخلاقيّة: أنّ الغضب قوّة ضرورية تمكّن من الدفاع عن الذات بمواجهة الاعتداءات الحميمية والسياسية، وما ينجرّ عنها من انتهاكات

صوفي غالابرو حين تتحوّل العاطفة إلى محرّكٍ للانعتاق

سَوْرة الغَضَب موضوعًا للفلسفة

نجم الدين خلف الله

عندما يغدو الغَضب موضوعًا للسّؤال الفلسفيّ، ابتداءً من مُدوّنات الآباء اليونانيين، مرورًا بمُفكّري العصور الوسطى من المسيحيّين، ووُصولًا إلى فلاسفة الحداثة وما بعدها، حينها نتخلّى عن التصوّر الأخلاقيّ له بوصفه ـ أي الغضب ـ مجرّد انفعالٍ سلبيّ، طالما ذَمّتْه الأدْيان والأخلاق، ومجرّدَ تعبيرٍ عن الضّغينة والأنانيّة وعلامة عَدَم التحكّمَ في الذات. هذا هو موضوع «المُحاولة» الفلسفيّة التي كتَبَتها الباحثة الفرنسيّة صوفي غالابرو، وصدرت حديثًا لدى منشورات «فلاماريون» في باريس تحت عنوان «وجوهُ غضبنا».

قسّمت الباحثة كتابَها إلى قسمَيْن: عالَجت في الأوّل منهما تاريخَ الغَضب، بوصفه عَجزًا عن التحكّم في الذات وعاطفةً هَوْجاء غالبًا ما قُرنَت، في تاريخ الفلسفة، باللاعقلانيّة وانفعالات الجَسد في نزواتِه و«جَهالاته»، كما كان يُقال في شعرنا الجاهليّ. وتعرّضت، في هذا القسم، إلى الإدانَة المسيحيّة لهذا الانفعال، مُبرزةً التناقض الذي حَكَم هذا الموقف الدينيّ، لأنه يُجيز الغَضَبَ لله وأنبيائه، ويَمنعه عن العباد المقهورين.

ثم تعرّضت إلى المعالجة الطبّية لهذه الظاهرة بوصفها انحرافًا للمزاج، وتناولَت العلاقة بين الطّفولة والغَضب، محلّلةً عملية الدمج والجَمْعَنَة التي تقوم بها الأسَرُ والمدارس والمُجتَمعات من أجل تربية الأفراد على نزع فتيل الغَضب لدى الناشئة، لأنّه سلوكٌ مَشين.

في القسم الثاني من هذه «المحاوَلة»، عَقدت المؤلّفة فصلًا عن الفلسَفة المُدافِعة عن الغَضب، والتي تتغنّى به قوةً مُحرِّرَة، ترفض الظلمَ وتتطلّع إلى تغيير الواقع. ففي تاريخ المجتمعات والأفراد، كان الغضبُ مادّة من موادّ «العقد الاجتماعيّ»، إليه يَلجأ الأفراد لضمان التوازن، ضمن منطق التدافع الذي صوّره جان جاك روسو (1712 ـ 1778) وتوماس هوبس (1588 ـ 1679)، ومنه تطرّقَت إلى وصف الغضب لدى الطبقات الكادحة التي تناضل لتغيير واقعها من نير الاستغلال إلى التحرّر. وبأسلوب يقرب إلى أسلوب بول ريكور (1913 ـ 2005) وميشيل سير (1930 ـ 2019) معًا، تطرّقت الكاتبة إلى مفهوم العفو الذي يُعدُّ النقيضَ الفعليّ للغضب، وقارنت بينهما مبيّنةً أنّ الصّفحَ يمكن أن يُنير جوانِب معقّدة من الغضب.

وهكذا تتّصل صفحاتُ الكتاب تحليلًا لسائر المُدوّنات الفلسفيّة والأدبيّة والسينمائية وحتى الرّسوم المتحرّكة، من أجل إظهار بداهة نَسيتها أو تناسَتْها الخطابات الأخلاقيّة، ومفادُها أنَّ الغَضبَ قوّة ضروريّة تمكّنُ من الدّفاع عن الذات في مواجهة الاعتداءات الحميميّة والسياسيّة، وما ينجرّ عنها من انتهاكاتٍ. فَالغضب الذي يصعّده وينبّله الفنّانون، وتلجأ إليه الأقلّيّات المُضطَهَدة هو ما يتيح استرجاعَ الحقوق وتطوير المجالات الحيويّة، وبدونه تظلّ بعض الجماعات خافتة الصوتِ، خاضعةً، لا مكان لها في عالم الصّراعات والتناحر.

ولا ننسى هنا أنّ الكاتبة حفيدة الممثّل الفرنسي الشهير ميشل غالابرو، الذي أدّى الكثير من الأدوار الكوميديّة، وأنّها خصّصَت له سيرةً ذاتيّة لعلّها من باكورات نصوصها التي كتبتها في شكل حوارٍ مع الجَدّ، وهو ما أكسبها اطلاعًا واسعًا على الفنّ السّابع، الذي استقت منه العديد من أمثلتها. وبهذا التّحليل، تجعل صوفي غالابرو من هذه العاطفة المنبوذة المُحرَّمة قوةً تَحريرٍ وانعتاق، تواجه الظلمَ والاستعباد. بل لعلّ ما قيل في إدانة الغضب مجرّدُ غطاءٍ إيديولوجيّ ـ بالمعنى الماركسيّ ـ فَرَضه السادة من إقطاعيّ الأمس وساسَة اليوم لإسكات الطبقات الكادِحة ومنعها من التعبير عن حقوقها المهضومة. وبذلك يخرج الغضب من التقييم السلبي والنظرة المعياريّة الازرائية، ويُقَدّمُ كقوّة تحرّر، باتت ضروريّةً في عصرنا.

مكانٌ في مشهد مزدحم

رغم أنها لا تزال في بدايات الثلاثينيات من العمر، إلّا أن الباحثة الفرنسية صوفي غالابرو استطاعت إيجاد مكانٍ لها في المشهد الفلسفي المزدحم بالأسماء في فرنسا، أوّلاً من خلال منشورات أعمالها، «عملُ الزمن: حول فكر إيمانويل ليفيناس» (2020)، ومن ثمّ كتابها الصادر حديثاً «وجوهُ غضبِنا». تعمل غالابرو أستاذةً مساعدة في قسم الفلسفة بـ«جامعة باريس 1 ـ بانتيون سوربون».

بدون الغضب تبقى بعض الشرائحِ الاجتماعية خاضعةً وبلا دور

يُؤخَذ عليها تجاهلُ ما كَتَبه الفلاسفة المسلمون عن الغضب

وبناءً عليه، لا يمكن حَذف الغَضب من قاموس العواطف، ولا من آليات التفاعل الاجتماعيّ، لأنه يؤدّي فيه وظيفة أساسيّة: تحقيق التوازن النفسيّ والجمعيّ بين الفاعلين وإتاحة التّسامي على الجراح الذاتيّة وإصلاح وضعيّاتٍ ما كان لها أن تتغيّر لولا سَوْرة الغضب التي تعلو، فهو، بهذا المعنى، يَقترب ممّا سمّاه المخيال العربي البدوي: «الغَضبَة المُضَريّة»، والذي يقْرنها بالنّجدة والمساعدة والإباء لرَفع الظّلم. كما يغدو الغضب انفعالاً سياسيًا بمجرّد مغادرة ساحة الجسد الفرديّ والتعبير عنه في النطاق الاجتماعيّ للعَيش المشترك في المدينة.

كما خصَّصت المؤلّفة فقراتٍ مُفصَّلة للتفريق بين الغضب والشَّحناء، هذا الإحساس الذي يستمرّ عبرَ الزَّمن ويهدف إلى تحطيم الآخر، في حين أنَّ الغَضبَ عاطفة وقتية لا تلبثُ أن تَهدأ، هدفها رَفع المظلمة وردُّ الحقوق، ولا تقترنُ بإرادة هدم الآخر والقضاء عليه. وهكذا، يبدو هذا الخطابُ جذريًا للغاية، تكاد تبرّئُ فيه الغضب ممّا لحقه من الشّوائب، وتعيد تأهيله ضمن العواطف المحمودة والأخلاق المقبولة، وهو عينَ ما نرى آثارَه في بعض كتب الصّوفيّة الذين توسّعوا في توصيف الأخلاق وكيفياتِ نقْلها من المرذول إلى المقبول، مثل القُشيري وابن عَربيّ والطوسي.

وتنتهي غالابرو إلى القول بوجود «غضب ناجح» وآخرَ «فاشل»: تنجح سَوْرَةُ الغضب في تحقيق التوازن إذا قُدّرَت على الوجه الصحيح وبشكل عقلانيّ، وتفشل إذا لم تُفهم على حقيقتها أو صُرفت في غير ما ينبغي أن تصرَف فيه.

حُرِّرَت هذه المحاولة بضمير المفرد المتكلم وبأسلوبٍ أدبي ذاتيّ، تمتزج فيه الإحالات الفلسفيّة الكلاسيكيّة مع التجارب الحميمَة للكاتبة الفتيّة، وذكريات طفولتها، ممّا أضفى على عملها طابعًا سمِحًا، يتقاطع فيه الذاتيّ بالموضوعيّ، والمجرَّدُ بالمَعيش، وتعانق فيه الفلسفةُ اليوميَّ في كلّ نتوءاته ومنعرجاته، لتفكّك سَورات الغضب عبر النقد ولكنْ من غير الوقوع في فخ التجريد.

لكنْ، ما يمكن أن يُؤخَذ على هذه «المُحاولة»، هو تجاهلُ ما كَتَبه الفلاسفة المسلمون، مثل ابن سينا والفارابي وابن رشد، عن القوّة الغضبيّة، سواء لشرح نُصوص المُعلّم الأوّل أرسطو، أو تصريفًا لبَنات أفكارهم بعد مَزجها بما جاء في النّصوص الإسلاميّة. وليس من عذرٍ لهذا التجاهل، لأنّ كُتبَ هؤلاء الفلاسفة مترجمةٌ إلى الفرنسيّة، وسبَق وأن اعتَمدَها مفكّرو الغرب من بين مصادر أخرى.

كما أنها اقتصرَت على وصف غضب الأقلّيّات التي تعيش في الغرب، مُضَخّمةً آلامها، متجاهلةً غضبَ الثقافات الأخرى التي طالما رزحَت تحت نير الاستعمار والاستغلال، الذي شرَّعَ له هذا الغرب بنصوصه الكبرى، تلك التي تمجّد الصفحَ ولا تُعطيه للشعوب المستعمَرَة سابقًا، ولا تعوّضها عمّا ارتكبته.

وتبقى جِدّة هذا النصّ في تخصيصه كاملًا للغضب عبر نفس إشكاليّ، ينزع عنه طابع التناول الأخلاقيّ (السطحيّ) ويربطه بأمّهات النصوص التمثيليّة في تاريخ الفلسفة والآداب والفنون. وهو ما يفتح المجال فسيحًا للعَودة إلى هذه الظاهرة، في تاريخ الثقافة العربيّة، التي وقفت نُصوصُها عليها وحلّلت دوائرَها وارتدادها، ليس فقط في الخطاب الأخلاقيّ أو الصوفي وإنّما أيضًا في الخطاب السياسي. فرغم شدّة الأنظمة الدكتاتوريّة التي تعاقبت على حكم الشعوب العربيّة والإسلاميّة، لم تتخلَّ هذه الأخيرة عن الغضب المُحَرِّر، بل إنّها حقّقت ما حَققت من ثَوراتٍ وتحوّلات بفضل غَضَبات قوميّة شاملة، أدّى بعضها إلى اندلاع موجات الربيع العربيّ التي تُعدّ التعبير الأنقى عن «الغضب الساطع»، بعد عقودٍ من القمع والاستبداد.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

«غضب»، لـ أرنولد ريذي (هنغاريا)، مواد مختلفة على ورق

نظرة أولى

الوجود الروحي والسياسي الروسي في الأرض المقدّسة والشرق الأوسط (في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)» عنوان النسخة العربية من كتاب المؤرّخ الروسي نيقولاي نيقولايفيتش ليسوفوي، الصادرة حديثاً عن «سلسلة ترجمان» في «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» بترجمة مسوح مسوح. يدرس العملُ العوامل: الدينية والسياسية والاقتصادية التي دفعت روسيا إلى الاهتمام بفلسطين والمنطقة، وتأسيس جملة مؤسّسات كان لها دور في رعاية مصالحها لأكثر من مئة عام، كما يتناول مصير الإرث الروسي في الشرق الأوسط خلال القرن العشرين.

عن «الآن ناشرون وموزعون»، صدرت حديثاً النسخة العربية من رواية **سارة سيرافينا** للكاتب البوسني جواد قرا حسن بترجمة إسماعيل أبو البندورة. تدور أحداث الرواية حول الحرب، في محاولة لتأمّل ما وراء الخراب والتدمير من تفاصيل يومية يعيشها الإنسان فتسبّب له الإرباك والتشويش وتقتل الحياة في داخله، وتجعله عاجزاً أمام متاهة المصير. الرواية مستمدّة من أحداث حقيقية وقعت خلال حرب البوسنة والهرسك بين 1992 و1996، وتقف عند عوامل تاريخية أدّت إلى اندلاعها، من خلال مراجعة شخصياتها أوقات السلم التي عاشتها قبل وقوع الحرب.

صدر حديثاً كتاب **حياتي كذكاء إبداعي اصطناعي** لأستاذ تاريخ الفن مارك أميركا عن «منشورات جامعة ستانفورد». يطرح العمل تساؤلات حول مستقبل الإبداع مع تطوّر الذكاء الاصطناعي ضمن تصوّرات ما بعد الإنسانية، التي لم تعد تتعامل مع البشر من خلال جسد وعقل يتوحّدان لتأسيس الوعي، بل تقدّم صيغاً تتجاوز الإنسان بصورته الفيزيائية والخطابية، بحيث تصبح قيَم التقدّم والابتكار والكفاءة سلعاً محضة، ضمن السعي لإنهاء الحدود الفاصلة بين الإنسان والآلة في أية عملية إنتاجية تجمعهما، ما يعني انقلاباً في طبيعة الذات المبدعة.

عن سلسلة «روائع الأدب العربي» التي تقوم عليها «الهيئة العامة لقصور الثقافة» في القاهرة، صدرت طبعة مصرية من رواية **لو وضعتم الشمس بين يديّ** للكاتب السوري خليل النعيمي. ظهر العمل أوّلاً عام 2011 لدى «المؤسّسة العربية للدراسات والنشر»، وفيه نتابع السارد في رحلته من الجزيرة السورية، وشروط عيشه فيها، إلى باريس. من أعمال النعيمي الأُخرى: «مديح الهرب» (2005)، و«الخلعاء» (2007)، و«تفريغ الكائن» (2009)، و«القطيعة» (2010). وله أيضاً عددٌ من كتب الرحلات، مثل: «قراءة العالَم» (2007)، و«الطريق إلى قونية» (2015).

تدبير النقد وتحرير الإنسان عند هربرت ماركوز عنوان كتاب للباحث التونسي أبو ميارى عزديني صدر حديثاً في «سلسلة إشراعات» عن دار «عليسة للنشر» و«معهد تونس للفلسفة». يتّخذ المؤلّف من المفكّر الألماني، صاحب «الإنسان ذو البُعد الواحد»، نموذجاً للإجابة عن سؤالٍ لطالما ناقشه المفكّرون في الفلسفة السياسية والأخلاقية: كيفية الانتقال بالفكر من الفضاء النظريّ إلى مساعدة الناس بالتحرُّر فعلياً؟ ويتساءل المؤلّف: بأيّ معنى يقتضي هذا الغرض، من الفيلسوف، «وضع الواقع القائم موضع اتّهام واستحضار صورة جميلة للتحرّر؟».

للباحث الفرنسي لوران غويّو، صدر حديثاً كتاب **فلسفات الإبداع الفنّي**، لدى «منشورات جامعة فانسن» قرب باريس. يسعى العمل إلى تقديم وصفٍ نفسيّ وظاهراتيّ للتجربة التي نختبر من خلالها الجمال، كما يُحاول المؤلّف طرح مجمل القراءات الفلسفية الممكنة للعمل الفنّي، الذي يقاربه في كلّ فصلٍ من زاوية مختلفة. هكذا، يتوزّع الكتاب على تسعة فصول تُسائل «الفن والإبداع»، أو «الفنّ والجميل»، أو «الفنّ والشكل»، أو «الفن واللغة»، أو حتى «الفنّ والسلعة». من أعمال غويّو السابقة: «الفنّ في الأسئلة» «وفلسفة فيشته».

بتوقيع عماد شيحة، صدر حديثاً عن «دار الساقي» في بيروت كتاب **تجاذُب السلطة وتهتّك الدولة في العالم العربي**، الذي اشترك في تحريره: عزيز العظمة، ونادية البغدادي، وهاروت أكديديان، وحارث حسن. يتطرّق الكتاب إلى مسألة العنف ومدى ارتباطها بالصراع الاجتماعي والسياسي في المنطقة العربية، كما يبحث في تنامي الجماعات الدينية المتطرّفة بمرحلة ما بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، ومحاولاتها المأزومة في الوصول إلى السلطة. كما يعالج الكتاب مواضيع مثل: الشبكَات القَبَليّة، واقتصادات الحرب العابرة للأقاليم، والتنظيمات العسكرية.

عن «دار لاديكوفرت» الفرنسية، صدر مؤخّراً كتاب **اقتصاديات المنصّات** للباحثَين الاقتصاديّين مايا بكاش بوفاييه ومارك بوررو. يبحث العمل في عالم منصّات البيع والشراء والاستئجار والحجوزات الإلكترونية، ويطرح عدداً من الأسئلة حول خصائصها وآليات عملها، والقواعد التي تحكم التبادلات داخل هذه المنصّات التي باتت كيانات اقتصادية جديدة. كما يحاول فهم وتوضيح تأثيرات هذه المنصّات المباشرة وغير المباشرة على واقع الاقتصاد الجديد، وسبر مواضيع الاستراتيجيات العامة والتسعير والنموّ وعدم تكافؤ الفرص وانعدام المساواة.